

الفصل الثاني

هلموا جميعا إلى فلسطين المباركة مهد الأسرار الربانية
والأنوار النبوية والكنوز الروحية والحياة الطيبة.

أ- مواقع مقدسات الأرض المباركة من خلال رحلة ابن بطوطة إليها

يقول الإمام الرحالة الشهير والفقير العالم والثقة النبيه والناسك الأبر أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطة رحمه الله ورضي عنه وكرمه أمين، في الفصل الثاني من كتابه المسمى "بتحفة النظر في غرائب الأمصار"¹ المتعلق برحلته إلى الشام.

1- من غزة إلى القدس فعسقلان

"ثم سرنا حتى وصلنا إلى مدينة غزة وهي أول بلاد الشام مما يلي مصر متسقة الأقطار كثيرة العمارة حسنة الأسواق، بها المساجد العديدة والأسوار عليها وكان بها جامع حسن، والمسجد الذي تقام الآن به الجمعة فيها، بناه الأمير المعظم الجاولي... وقاضي غزة بدر الدين السلختي الحوراني ومدرسها علم الدين بن سالم، وبنو سالم كبراء هذه المدينة، ومنهم شمس الدين قاضي القدس.."

"ثم سافرت من غزة إلى مدينة الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم تسليما. وهي مدينة صغيرة الساحة كبيرة المقدار، مشرقة الأنوار، حسنة المنظر عجيبية المخبر في بطن واد. ومسجدها أنيق الصنعة، محكم العمل بديع الحسن سامي الارتفاع، مبني بالصخر المنحوت في أحد أركانه صخرة، أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبرا. ويقال أن سليمان عليه السلام أمر الجن ببناؤه. وفي داخل المسجد الغار المكرم المقدس فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب صلوات الله على نبينا وعليهم. ويقابلها قبور ثلاثة هي قبور أزواجهم..."

¹ كتاب قدّم له الإمام محمد بن محمد بن أحمد ابن جوزي الأندلسي، وشرحه وكتب هوامشه الأستاذ طلال حرب.

"ومما ذكره أهل العلم دليلاً على صحة القبور الثلاثة الشريفة هناك ما نقله من كتاب علي بن جعفر الرازي الذي سمّاه "المسفر للقلوب عن صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب: "أسند فيه إلى أبي هريرة قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما أسري بي إلى بيت المقدس مرّ بي جبريل على قبر إبراهيم فقال أنزل فصل ركعتين فإن هنا قبر إبراهيم ثم مرّ بي على بيت لحم وقال أنزل فصل ركعتين فإن هنا ولد أخوك عيسى عليه السلام. ثم أتى بي الصخرة. " وذكر بقية الحديث".

"لما لقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الإمام الخطيب برهان الدين الجعبري أحد الصلحاء المرضيين والأئمة المشهورين، سألته عن صحة كون قبر الخليل عليه السلام هنالك فقال لي: كل من لقيته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب على نبينا وعليهم السلام، وقبور زوجاتهم، ولا يطعن في ذلك إلا أهل البدع وهو نقل الخلف عن السلف لا يشك فيه"... وبداخل هذا المسجد أيضاً قبر يوسف عليه السلام.

"وبشرقي حرم الخليل تربة لوط عليه السلام. وهي تلّ مرتفع يشرف منه على غور الشام. وعلى قبره أبنية حسنة. وهو في بيت منها حسن البناء مبيض ولا ستور عليه. وهنالك بحيرة لوط² وهي أجاج. يقال أنها موضع ديار قوم لوط".

"وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين. وهو على تلّ مرتفع، له نور وإشراق ليس لسواه. ولا يجاوره إلا دار واحدة يسكنها قيّمه. وفي المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض في حجر صلد، قد هبى فيه صورة محراب لا يسع إلا مصلياً واحداً. ويقال إن إبراهيم سجد في ذلك الموضع شكراً لله تعالى على هلاك قوم لوط، فتحرك موضع سجوده وساخ في الأرض قليلاً.

وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة³ بنت الحسين بن علي عليهما السلام". "وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام في أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع (بسم الله الرحمان الرحيم له العزة والبقاء وله ما ذراً وبراً وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله أسوة حسنة.

² البحر الميت.

³ هي تابعة من رواة الحديث روت عن جدتها فاطمة مرسلًا وعن أبيها وغيرهما. تزوجها الحسن بن الحسن بن علي ثم عبد الله بن عمرو بن عثمان.

هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضي الله عنه). وفي اللوح الآخر منقوش: (صنعه محمد بن أبي سهل النقاش بمصر.) وتحت ذلك هذه الأبيات:

"أسكنت من كان في الأحشاء * بالرغم مني بين التراب والحجر"
مسكنه * بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر"
"يا قبر فاطمة بنت ابن * ومن عفاف ومن صون ومن
فاطمة خفر"
"يا قبر ما فيك من دين ومن
ورع

ويمضي الإمام الرحالة ابن بطوطة في رحلته ويقول:

"ثم سافرت من هذه المدينة إلى القدس. فزرت في طريقي إليه تربة يونس عليه السلام وعليها أبنية كبيرة ومسجد". "وزرت أيضا بيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام وبه أثر جذع النخلة وعليه عمارة كثيرة. والنصارى يعظمونه أشدّ التعظيم ويضيفون من نزل به".

"ثم وصلنا إلى بيت المقدس شرفه الله، ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ومعرجه إلى السماء⁴، والبلدة كبيرة، منيفة بالصخر المنحوت. وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب جزاه الله عن الإسلام خيرا لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها. ثم استنقض الملك الظاهر هدمه خوفا أن يقصدها الروم فيتمنعوا بها. ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم، وجلب لها الماء في هذا العهد الأمير سيف الدين تنكز أمير دمشق".

"والمسجد الأقصى" هو من المساجد العجيبة الرائقة الفاتقة الحسن. يقال إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه. وأن طوله من شرق إلى غرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعا بالذراع

⁴ أنظر قصة الإسراء والمعراج في البخاري ومسلم. وقعت هذه المعجزة الباهرة ليلة السابع والعشرين من شهر رجب الحرام بثمانية عشر شهرا قبل الهجرة النبوية على الراجح.

المالكية وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً. وله أبواب كثيرة في جهات الثلاث. وأما الجهة القبليّة منه فلا أعلم بها إلا باباً واحداً وهو الذي يدخل منه الإمام. والمسجد كله فضاء وغير مسقف إلا الأقصى فهو مسقف، في النهاية من إحكام الفعل وإتقان الصنعة، ممّوه بالذهب والأصبغة الرائقة وفي المسجد مواضع سواه مسقفة. (وقبة الصخرة) هي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً. قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف وهي قائمة على نشز⁵ في وسط المسجد يصعد إليها في درج رخام. ولها أربعة أبواب. والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً. محكم الصنعة، وكذلك داخلها. وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الوصف. وأكثر ذلك مغشى بالذهب. فهي تتألاً نوراً وتلمع لمعان البرق، يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها.

وفي الوسط القبة الصخرية الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار، فإن النبي صلى الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء وهي صخرة صماء، ارتفاعها نحو قامة وتحتها مغارة مقدار بيت صغير. ارتفاعها نحو قامة أيضاً ينزل إليها على درج، وهناك شكل محراب. وعلى الصخرة شباك كان اثنان، محكما العمل يغلقان عليها، أحدهما وهو الذي يلي الصخرة، من حديد، بديع الصنعة والثاني من خشب وفي القبة درقة⁶ كبيرة من حديد معلقة هنالك، والناس يزعمون أنها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. (أما المشاهد المباركة بالقدس الشريف) فمنهم بعدوة الوادي المعروف بوادي جهنم في شرقي البلد على تل مرتفع. وهناك بنية يقال أنها مصعد عيسى عليه السلام إلى السماء. ومنها أيضاً قبر رابعة البدوية. منسوبة إلى البادية، وهي خلاف رابعة العدوية الشهيرة⁷.

وفي بطن الوادي المذكور كنيسة يعظمها النصارى، ويقولون أن قبر مريم عليها السلام بها وهناك أيضاً كنيسة أخرى معظمة يحجها النصارى وهي التي يكذبون عليها ويعتقدون أن قبر عيسى عليه السلام بها، وعلى كل من يحجها ضريبة معلومة للمسلمين، وضروب من الإهانة يتحملها على رغم أنفه. وهناك موضع مهد عيسى عليه السلام يتبرك به..."

⁵ مرتفع

⁶ ترس

⁷ هي رابعة بنت إسماعيل العدوية أم الخير مولاة آل عتيك البصرية صالحة مشهورة من أهل البصرة لها أخبار في العبادة والنسك ولها شعر. توفيت بالقدس سنة 135 هـ .

وفي رحلته إلى عسقلان يقول الإمام ابن بطوطة رحمه الله: "ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة ثغر عسقلان⁸، وهو خراب قد عاد رسوما طامسة وأطلال دامسة. وقل بل من المحاسن ما جمعته عسقلان، إتقاناً وحسن وضع وأصالة مكان، وجمعا بين مرافق البر والبحر. وبها المشهد حيث كان رأس الحسين بن علي عليه السلام قبل أن ينقل إلى القاهرة. وهو مسجد عظيم سامي العلو فيه جب للماء، أمر بينائه بعض العبيد، وكتب ذلك على بابه. وفي قبلة هذا المزار مسجد كبير يعرف بمسجد عمر، لم يبق منه إلا حيطانه. وفيه أساطين رخام لا مثيل لها في الحسن، وهي ما بين قائم وحصيد.

ومن جملتها أسطوانة حمراء عجيبة، يزعم الناس أن النصارى احتملوها إلى بلادهم ثم فقدوها فوجدت في موضعها بعسقلان. وفي القبلة من هذا المسجد بئر تعرف ببئر إبراهيم عليه السلام، ينزل إليها في درج متسعة ويدخل منها إلى البيوت، وفي كل ناحية من جهاتها الأربع تخرج من أسراب مطوية بالحجارة، وماؤها عذب وليس بالغزير، ويذكر الناس من فضائلها كثيرة. وبظاهر عسقلان وادي النمل⁹، ويقال إنه المذكور في الكتاب العزيز. وبجبانة عسقلان من قبور الشهداء والأولياء ما لا يحصر لكثرتة...."

2- من عسقلان إلى حلب

وفي رحلته إلى حلب يمر الإمام الرحالة ابن بطوطة بمراحل يقول عنها رضوان الله عليه: "ثم سافرت منها إلى مدينة الرملة¹⁰ وهي فلسطين. مدينة كبيرة كثيرة الخيرات، حسنة الأسواق، وبها الجامع الأبيض. ويقال أن في قبلته ثلاثمائة من الأنبياء مدفونين عليهم السلام، وفيها من كبار الفقهاء مجد الدين النابلسي. ثم خرجت منها إلى مدينة نابلس¹¹، وهي مدينة عظيمة كثيرة الأشجار مطردة الأنهار، من أكثر بلاد الشام زيتونا..."

⁸ مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبشركم بالعروسين غزة وعسقلان" (أنظر معجم البلدان لياقوت الحموي).

⁹ هو الوادي الذي خاطب سليمان عليه السلام النمل فيه.

¹⁰ مدينة عظيمة بفلسطين يقال إن مؤسسها هو سليمان بن عبد الملك بن مروان.

¹¹ مدينة نهريّة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ.

"ثم سافرت منها إلى مدينة عجلون، وهي مدينة حسنة لها أسواق كثيرة وقلعة خطيرة ويشقها نهر ماءه عذب. ثم سافرت منها بقصد الأذقية¹²، فمررت بالغور وهو واد بين تلال به قبر أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأرض رضي الله عنه. زناه وعليه زاوية فيها الطعام لأبناء السبيل وبتنا هنالك ليلة¹³... " ثم وصلنا إلى القصير وبه قبر معاذ بن جبل رضي الله عنه¹⁴ وتبركت أيضا بزيارته... " ثم سافرت على الساحل فوصلت إلى مدينة عكة وهي خراب، وكانت عكة قاعدة بلاد الافرنج بالشام ومرسى سفنهم، وتشبه قسطنطينية العظمى. وبشرقها عين ماء تعرف بعين البقر، يقال أن الله تعالى أخرج منها البقر لآدم عليه السلام، وينزل إليها في درج وكان عليها مسجد بقي منه محرابه، وبهذه المدينة قبر صالح عليه السلام.

"...وبعد مدينتي صور وصيدا يتوجه رحمه الله إلى مدينة طبرية فيقول فيها: "... ثم سافرت منها إلى مدينة طبرية. وكانت فيما مضى مدينة كبيرة ضخمة ولم يبق منها إلا رسوم تنبئ عن ضخامتها وعظم شأنها، وبها الحمامات العجيبة، لها بيتان أحدهما للرجال والثاني للنساء، ومأوها شديد الحرارة، ولها البحيرة الشهيرة، طولها نحو ستة فراسخ وعرضها أزيد من ثلاثة فراسخ. وبطبرية مسجد يعرف بمسجد الأنبياء، فيه قبر شعيب عليه السلام وبنته زوج موسى الكليم عليه السلام، وقبر سليمان عليه السلام، وقبر يهودا وقبر روبيل، صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم". " وقصدنا منها زيارة الجب الذي ألقى فيه يوسف عليه السلام وهو في صحف مسجد صغير وعليه زاوية. والجب كبير وعميق شربنا من مائه المجتمع من ماء المطر واخبرنا قيمه أن الماء ينبع منه أيضا... "

وبعد زيارته رحمه الله إلى بيروت وطرابلس وحصن الأكراد وحمص¹⁵ وحماة يقصد مدينة المعرة ويقول: "ثم سافرت إلى مدينة المعرة التي ينسب إليها الشاعر أبو العلاء المعري¹⁶ وكثير سواه

¹² مدينة وميناء في سورية.

¹³ هو عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي. فاتح الديار الشامية والصحابي أحد العشرة المبشرين بالجنة. وفي الحديث لكل نبي أمين وأميني أبو عبيدة بن الجراح توفي بطاعون عمواس سنة 18 هـ ودفن في غوريسان.

¹⁴ صحابي جليل أعلم الأمة بالحلال والحرام.

¹⁵ بخارج هذه المدينة قبر الصحابي الجليل خالد بن الوليد سيف الله ورسوله رضي الله عنه وعليه زاوية ومسجد وعلى القبر كسو سوداء.

¹⁶ هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري شاعر فيلسوف ولد ومات في معرة النعمان سنة 449 هـ أصيب بالجذري فعمي في الرابعة من عمره رحمه الله.

من الشعراء. والمعرة مدينة كبيرة حسنة، أكثر شجرها التين والفسق، ومنها يحمل إلى مصر والشام. وبخارجها، على فرسخ منها، قبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولا زاوية عليه ولا خديم له. وسبب ذلك أنه وقع في بلاد صنف من الرافضة، أرجاس يبغضون العشرة من الصحابة رضي الله عنهم، ولعن مبغضهم، ويبغضون كل من اسمه عمر، وخصوصا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما كان من فعله في تعظيم علي رضي الله عنه..."

ثم انتقل رحمه الله إلى حلب.. ويقال فيها: "حلب إبراهيم" لأن الخليل صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه، كان يسكنها وكانت له الغنم الكثيرة فكان يسقي الفقراء والمساكين والوارد والصادر من ألبانها. فكانوا يجتمعون ويسألون "حلب إبراهيم" فسميت بذلك..."

وانظر بقية رحلاته في "تحفة النظار في غرائب الأمصار" للإمام ابن بطوطة رحمه الله ورضي عنه، فإن فيه ما يشفي غليل كل تائه جوعان.

ب - المسجد الأقصى المبارك وفضائله

1- إسرائ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك

قال الله عز وجل في سورة الإسراء: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير).

والإسراء من السري: السير ليلا. فكلمة "أسرى" تحمل معها زمانها. ولا تحتاج إلى ذكره. ولكن السياق ينص على الليل للتظليل والتصوير على طريقة القرآن الكريم. والرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى سيدنا محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم. وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا، وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثته الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعا. فهي رحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان، وتشمل آمادا وآفاقا أوسع من الزمان والمكان، وتتضمن معاني أكبر من المعاني القريبة التي تتكشف عنها للنظرة الأولى.

ووصف المسجد الأقصى بأنه "الذي باركنا حوله" وصف يرسم البركة حافة بالمسجد، فائضة عليه. وهو ظل لم يكن ليلقيه تعبير مباشر مثل باركناه أو باركنا فيه. وذلك من دقائق التعبير القرآني العجيب. هذا الإسراء آية من آيات الله وهو نقلة عجيبة بالقياس إلى مألوف البشر، والمسجد الأقصى هو طرف الرحلة. وهو قلب الأرض المقدسة التي اسكنها الله بني إسرائيل ثم أخرجهم منها

17

(والمسجد الأقصى) هو ثاني مسجد بناه إبراهيم عليه السلام كما ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. ففي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال عليه الصلاة والسلام: المسجد الحرام. قلت: ثم أي قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة".¹⁸

فهذا الخبر قد بين أن المسجد الأقصى من بناء إبراهيم لأنه حدّد بمدة هي من مدة حياة إبراهيم عليه السلام. وقد قرن ذكره بذكر المسجد الحرام. وهذا مما أهمل أهل الكتاب ذكره. وهو مما خص الله نبيّه بمعرفته. والتوراة تشهد له، فقد جاء في سفر التكوين في الإصحاح الثاني عشر: "أن إبراهيم لما دخل أرض كنعان (وهي بلاد فلسطين) نصب خيمته في الجبل شرقي بيت ايل (بيت ايل مدينة على بعد أحد عشر ميلا من أورشليم إلى الشمال وهو بلد كان اسمه عند الفلسطينيين (لوزا) فسماه يعقوب: بيت ايل، كما في الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين) وغربي بلاد عاي (مدينة عبرانية تعرف الآن بـ (الطيبة) وبنى هنالك مذبحا للرب، وهم يطلقون المذبح على المسجد لأنهم يذبحون القرابين في مساجدهم. قال عمر بن أبي ربيعة¹⁹.

¹⁷ أنظر "في ظلال القرآن" لسيد قطب رحمه الله.

¹⁸ بين المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم والمسجد الأقصى الذي بناه سليمان عليهما السلام تسعة قرون قبل المسيح. والمراد هنا أن إبراهيم بنى مسجدا في موضع بيت المقدس ثم درس جده سليمان.

¹⁹ شاعر غزلي من سراة القرشيين (644م-711م).

"دمية عند راهب قسيس ** صوروها في مذبح المحراب"

أي مكان المذبح من المسجد، لأن المحراب هو محل التعبّد، قال تعالى (وهو قائم يصلي في المحراب) (آل عمران/39) أي أن الله تعالى بشرّ زكرياء عليه السلام بولد يكون باراً ونبياً من الصالحين وهو يحيى عليه السلام.. وهو يتعبّد في المحراب.

ولا شك أن مسجد إبراهيم هو الموضع الذي توخى داود عليه السلام أن يضع عليه الخيمة وأن يبني عليه محرابه أو أوحى الله إليه بذلك. وهو الذي أوصى سليمان عليه السلام أن يبني عليه المسجد، أي الهيكل وقد ذكر مؤرخو العبرانيين ومنهم (يوسيفوس) أن الجبل الذي سكنه إبراهيم بأرض كنعان اسمه (نابو) وأنه هو الجبل الذي ابنتى عليه سليمان الهيكل وهو المسجد الذي به الصخرة.

وقصة بناء سليمان إياه مفصلة في سفر الملوك الأول من أسفار التوراة وقد انتابه التخريب ثلاث مرات:

— أولاًها: حين خربه بختنصر ملك بابل سنة 578 قبل المسيح ثم جدده اليهود تحت حكم الفرس.

— الثانية: خربه الرومان في مدة طيطوس بعد حروب طويلة بينه وبين اليهود، وأعيد بناؤه، فأكمل تخريبه أدريانوس سنة 135 للمسيح وعفي آثاره فلم تبق منه إلا أطلال.

— الثالثة: لما تنصرت الملكة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين ملك الروم (بيزنطة) وصارت متصلبة في النصرانية، وأشرب قلبها بغض اليهود بما تعتقده من قتلهم المسيح كان مما اعتدت عليه حين زارت أورشليم أن أمرت بتعفية أطلال هيكل سليمان وأن ينقل ما بقي من الأساطين ونحوها فتبنى بها كنيسة على قبر المسيح المزعوم عندهم في موضع توسموا أن يكون هو موضع القبر، (والمؤرخون من النصارى يشكون في كون ذلك المكان هو المكان الذي يدعى أن المسيح دفن فيه)، وأن تسميها كنيسة القيامة، وأمرت بأن يجعل موضع المسجد الأقصى مرمى أزيال البلد وقماماته فصار موضع الصخرة مزبلة تراكمت عليها الأزيال فغطتها وانحدرت على درجها.

ولما فتح المسلمون بقية أرض الشام في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجاء ليشهد فتح مدينة إيلياء وهي المعروفة من قبل (أورشليم) وصارت تسمى إيليا- بكسر الهمزة وكسر اللام- وكذلك كان اسمها عند العرب عندما فتح المسلمون فلسطين، وإيلياء إسم نبي من بني إسرائيل كان في أوائل القرن التاسع قبل المسيح. قال الفرزدق²⁰:

"وبيتان بيت الله نحن ولاته ** وبيت بأعلى إيليا مشرف"

وانعقد الصلح بين عمر وأهل تلك المدينة وهم نصارى. قال عمر لبطريق لهم اسمه (صفرونيوس): "دلني على مسجد داود"، فانطلق به حتى انتهى إلى مكان الباب وقد انحدر الزبل على درج الباب فتجشم عمر حتى دخل ونظر فقال: "الله أكبر، هذا والذي نفسي بيده مسجد داوود الذي اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسرى به إليه". ثم أخذ عمر والمسلمين يكنسون الزبل عن الصخرة حتى ظهرت كلها، ومضى عمر إلى جهة محراب داوود فصلى فيه، ثم ارتحل من بلد القدس إلى فلسطين.

ولم بين هناك مسجدا إلى أن كان في زمن عبد الملك بن مروان أمر بابتداء بناء القبة على الصخرة وعمارة المسجد الأقصى. ووكل على بنائها رجاء بن حيوة الكندي أحد علماء الإسلام، فابتدأ ذلك سنة ست وستين وكان الفراغ من ذلك في سنة ثلاث وسبعين.

كان عمر أول من صلى فيه من المسلمين وجعل له حرمة المساجد. ولهذا فتسمية ذلك المكان بالمسجد الأقصى في القرآن تسمية قرآنية اعتبر فيها ما كان عليه من قبل لأن حكم المسجدية لا ينقطع عن أرض المسجد. فالتسمية باعتبار ما كان، وهي إشارة خفية إلى أنه سيكون مسجداً بأكمل حقيقة المساجد. واستقبله المسلمون في الصلاة من وقت وجوبها المقارن ليلة الإسراء إلى ما بعد الهجرة بستة عشر شهرا. ثم نسخ استقباله وصارت الكعبة هي القبلة الإسلامية.

²⁰ هو همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع الدارمي التميمي من شعراء العهد الأموي (641م - 732م) اشتهر بالهجاء الذي دار بينه وبين جريب منذ 683 حتى آخر حياتهما.

وزعم أوركولف حين زار القدس الشريف سنة 670م أي بعد خلافة عمر بن الخطاب بأربع وثلاثين سنة، أنه رأى مسجدا بناه عمر على شكل مربع من ألواح وجذوع أشجار ضخمة وأنه يسع نحو ثلاثة آلاف.

والظاهر أن نسبة المسجد الأقصى إلى عمر بن الخطاب وهم من أوهام النصارى اختلط عليهم كشف عمر موضع المسجد فظنوه بناء، وإذا صدق أوركولف (سائح نصراني) فيما ذكر من أنه رأى مكانا مربعا من ألواح وعمد أشجار كان ذلك شيئا أحدثه مسلمو البلاد لصيانة ذلك المكان عن الامتهان.

ووجه الاقتصار على وصف المسجد الأقصى في هذه الآية بذكر هذا التبريك "الذي باركنا حوله" أن شهرة المسجد الحرام بالبركة "مباركا وهدى للعالمين"، وبكونه مقام إبراهيم معلومة للعرب، وأما المسجد الأقصى فقد تناسى الناس ذلك كله، فالعرب لا علم لهم به والنصارى عفوا أثره من كراهيتهم لليهود، واليهود قد ابتعدوا عنه وأيسوا من عوده إليهم، فاحتيج إلى الإعلام ببركته.

وأسباب بركة المسجد الأقصى كثيرة كما أشارت إليه كلمة "حوله" منها أن واضعه إبراهيم عليه السلام ومنها ما لحقه من البركة بمن صلى به من الأنبياء من داود وسليمان ومن بعدهما من أنبياء بني إسرائيل ثم بحلول الرسول عيسى عليه السلام وإعلانه الدعوة إلى الله فيه وفيما حوله، ومنها بركة من دفن حوله من الأنبياء، فقد ثبت أن قبوري داود وسليمان حول المسجد الأقصى. واعظم تلك البركات حلول النبي صلى الله عليه وسلم فيه ذلك الحلول الخارق للعادة، وصلاته فيه بالأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام²¹.

2- من فضائل بيت المقدس المبارك²²

فضائل بيت المقدس كثيرة ولا بد من ذكر شيء منها حتى يستحسنه المطلع عليه. قال مقاتل بن سليمان: "قوله تعالى: (ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين). قال هي بيت المقدس. وقوله تعالى لبني إسرائيل: (وواعدناكم جانب الطور الأيمن)، يعني بيت المقدس، قوله

²¹ أنظر "تفسير التحرير والتنوير" للشيخ الإمام العلامة محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله.

²² أنظر "معجم البلدان" (ج5) للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي رحمه الله ورضي عنه.

تعالى: (وجعلنا ابن مريم وأُمَّهُ آيةً وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين). قال: بيت المقدس. وقال تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى). هو بيت المقدس، وقوله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) البيت المقدس.

وفي الخبر من صلى في بيت المقدس فكأنما صلى في السماء، ورفع الله عيسى بن مريم إلى السماء من بيت المقدس وفيه مهبطه إذا هبط، وتزف الكعبة بجميع حجاجها إلى البيت المقدس يقال لها مرحبا بالزائر والمزور، وتزف جميع مساجد الأرض إلى البيت المقدس، أول شيء حسر عنه بعد الطوفان صخرة بيت المقدس وفيه ينفخ في الصور يوم القيامة وعلى صخرته ينادي المنادي يوم القيامة.

وقد قال الله تعالى لسليمان بن داود عليهما السلام حين فرغ من بناء البيت المقدس: "سلني أعطيك". قال: "يا رب أسألك أن تغفر لي ذنبي". قال: "لك ذلك". قال: "يا رب وأسألك أن تغفر لمن جاء هذا البيت يريد الصلاة فيه وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه". قال: "لك ذلك". قال: "وأسألك من جاء فقيراً أن تغنيه". قال: "لك ذلك" قال: "وأسألك من جاء سقيماً أن تشفيه". قال: "لك ذلك".

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام ومسجد البيت المقدس. وإن الصلاة في بيت المقدس خير من ألف صلاة في غيره". وأقرب بقعة في الأرض من السماء البيت المقدس ويمنع الدجال من دخولها ويهلك ياجوج وماجوج دونها وأوصى آدم عليه السلام أن يدفن بها وكذلك إسحاق وإبراهيم، وحمل يعقوب من أرض مصر حتى دفن بها. وأوصى يوسف عليه السلام حين مات بأرض مصر أن يحمل إليها. وهاجر إبراهيم عليه وعلى الأنبياء الصلاة والسلام، من كوثي إليها. وإليها المحشر ومنها المنشر وتاب الله على داود بها وصدق إبراهيم الرؤيا بها وكلّم عيسى الناس في المهد بها، وتقاد الجنة يوم القيامة إليها ومنها يتفرق الناس إلى الجنة أو إلى النار.

وروى عن كعب رضي الله عنه أن جميع الأنبياء عليهم السلام زاروا بيت المقدس تعظيماً له، وروى عن كعب أنه قال: لا تسموا بيت المقدس ايلياء ولكن سموه باسمه فإن ايلياء امرأة بنت المدينة. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فلما فرغ

سليمان من بناء بيت المقدس سأل الله حكما يوافق حكمه وملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله ذلك".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو أقام فيه ملك". وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي مسجد وضع على وجه الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي قال عليه الصلاة والسلام البيت المقدس وبينهما أربعون سنة".²³

وروى عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: "أوحى الله تعالى إلى داود ابن لي بيتا قال: يا رب وأين من الأرض؟ قال جل وعز: حيث الملك شاهر سيفه، فرأى داود ملكا على الصخرة واقفا ويده سيف".

وعن الفضيل بن عياض رضي الله عنه قال: "لما صرفت القبلة نحو الكعبة قالت الصخرة: إلهي لم أزل قبلة لعبادك حتى إذا بعثت خير خلقك صرفت قبلتهم عني! قال تعالى: (أبشري فإني واضع عليك عرشي وحاشر إليك خلقي وقاض عليك أمرى وناشر منك عبادي). وقال كعب: "من زار البيت المقدس شوقا إليه دخل الجنة، ومن صلى فيه ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأعطى قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا، ومن تصدق فيه بدرهم كان فداءه من النار. وقال كعب: معقل المؤمنين أيام الدجال البيت المقدس يحاصره فيه حتى يأكلوا أوتار قسيهم من الجوع فبينما هم كذلك إذ سمعوا صوتا من الصخرة فيقولون هذا صوت رجل شبعان فينظرون فإذا عيسى بن مريم عليه السلام، فإذا رآه الدجال هرب منه فيتلقاه بباب لدد فيقتله.. " ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله العزيز الحكيم.

فالقُدس الشريف كما وصفه الإمام ياقوت الحموي رحمه الله في كتابه: "بلدة جمعت الدنيا والآخرة، فمن كان من أبناء الدنيا وأراد الآخرة وجد سوقها، ومن كان من أبناء الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا وجدها. وأما طيب هوائها فإنه لا سمّ لبردها ولا أذى لحرّها. وأما الحسن فلا يرى أحسن من بنيانها ولا أنظف منها ولا أنزه من مسجدها.

وأما كثرة الخيرات فقد جمع الله فيها فَوَاكِهَ الأغوار والسهل والجبل والأشياء المتضادة كالأترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز. وأما الفضل فهي عرصة القيامة، ومنها النسر وإليها الحشر وإنما فضلت مكة بالكعبة والمدينة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويوم القيامة تزفان إليها فتحوي الفضل كله. وأما الكبر فالخلائق كلهم يحشرون إليها، فأبي أرض أوسع منها؟؟؟... وفي المسجد أماكن كثيرة وأوصاف عجيبة لا تتصور إلا بالمشاهدة عيانا. ومن أعظم محاسنه أنه إذا جلس إنسان فيه في أي موضع منه يرى أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها، ولذا قيل أن الله نظر إليه بعين الجمال ونظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال:

أهم بقاع القدس ما هبت الصبا * فتلك ربيع الأنس في زمن الصبا
ومازلت في شوقي إليها مواصلا * سلامي على تلك المعاهد والرُّبى

"اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كما علمت ما فوق عرشك، وكان وساويس الصدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالسرّ في علمك، وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة بيدك اجعل من كل همّ أمسيته فيه فرجا ومخرجا، اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي، أطمعني أن أسألك ما لا استوجه وما قصرت فيه، أدعوك آمنا، وأسألك مستأنسا، وإنك لمحسن إلي، وإني لمسيء فيما بيني وبينك، تتودد إلي بالنعم، وأتبغض إليك بالمعاصي. ولكن الثقة بفضلك حملتني على الجرأة عليك، فجد بفضلك وإحسانك علي إنك أنت التواب الرحيم" 24 .

اللهم إني أسألك بدعاء عبدك الصالح الخضر الذي علمته من لدنك علما أن تنصر الإسلام والمسلمين وترفع راية التوحيد بعبادك المخلصين وتطهر مقدساتنا من أعدائك أجمعين وأن تجعلنا أمة واحدة تجاهد في سبيلك وتقيم حدودك وتحب رسولك وتحبها يارب العالمين.

اللهم اكشف عن الأمة الإسلامية المجيدة مُلِمَاتِهَا واشفها من أسقامها وأمطر عليها غيثا ينفع العباد والبلاد ويوقظ كل نائم من الرقاد ويطهر القلوب والعقول والنفوس من الفساد بجاه من جعلته

24 هذا الدعاء مأثور عن سيدنا الخضر عليه السلام فيما حكاه الإمام الغزالي رحمه الله في كتاب الأمر بالمعروف من كتاب "إحياء علوم الدين" وهو صالح لكشف الملمات.

شفيعا في الأنام يوم الميعاد وبجاه من اصطفيتهم من أملاكك ورسلك وأنبيائك وأوليائك المقربين
وأهل طاعتك أجمعين من أهل السموات والأرضين.

اللهم بفضل المنظومة المشهورة لدى أرباب القلوب المسماة بالمنفرجة أن ترحم ناظمها²⁵
حتى يرضى وتحشره وإيانا مع الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصدقيين والشهداء والصالحين.

اللهم إني أتضرع إليك بهذه المنفرجة باسم الأمة الإسلامية المصابة أن تفرج عنها الكروب
كما فرجتها عن من سبقونا بالإيمان بفضلك يا علام الغيوب يا فارج الهمم وكاشف الهمم وواسع الكرم
وصلى اللهم وسلم وبارك على نبيك سيدنا محمد المبعوث إلى العرب والعجم وعلى آله وأصحابه
والتابعين ذوي الهمم وعلى كل من اتبع نهجهم إلى يوم تجازى فيه المساوي والقيم. آمين وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

²⁵ هو الإمام العارف بالله أبو الفضل يوسف ابن النحوى (434هـ - 513هـ) رحمه الله.